استراتيجية السلام وسلام الاستراتيجيا

الدكتـور البـير رحمــة

الدراسات الأمنية – عدد68/2016

"لما كانت الحرب تنشأ في عقول الناس ففي عقولهم أيضاً يجب ان تُبنى معاقل السلام"
من مقدمة ميثاق الاونيسكو

مقدمة

السلام ... الرجاء بالسلام ، الأمن ، أكثر الكلمات تردداً ، في كل زمان ومكان ، وفي مجمل الشؤون الحياتية والكونية ؛ حتى في الصراع والحرب . انها الكلمة -الملك بإمتياز ، هي رجاء الحياة الدنيا والكونية معاً . ولكن أين السلام ؟... لا أحد يمكنه أن يُفلت من وطأة هذا التساؤل ، إذ هو قضية الإنسان الكبرى . فالسلام مع الذات ومع الآخرين ، هو شرط أساسي للحصول على السعادة النسبية . فالإنسان كما يقال يفتش عن الطمأنينة في الاضطراب، وعن السلام في المعارك والحروب ، وعن الراحة والسعادة في التعب والأحزان.... يظهر كأن طبيعته تقطنها معادلة التناقض والتعارض . فالعديد من المفكرين والفلاسفة أعادوا ظاهرة العنف والصراع في حياة الإنسان إلى جوهر طبيعته المحدودة ، رغم قدراته الهائلة .
إن السلام يجب أن يكون الهدف الأسمى لأي إستراتيجية في كل الدول ، كونه محور آمال وأحلام البشرية . ولا هناء لمجتمعات اليوم والغد دون الانطلاق من مسعى الافراد الذين يملكون السلام في داخلهم ، وصولاً الى العالم أجمع . إذ يصح القول هنا ، ان القضاء على الحرب هو بزوال أسبابها من مهدها داخل عقول البشر .

بشكلٍ عام أن أي استراتيجية نادراً ما تتحقق ، فكم بالحري بالنسبة لـ"استراتيجية السلام" ،الهدف الأسمى للأستراتيجية السياسية ، كونها محور حياة وديمومة البشرية . كيف يمكن التخطيط لها وما هي السُبل الممكنة لتحقيقها ؛ في ظل ارتباط كلمة استراتيجية بالقوى العسكرية والسلاح . هنا تُطرح الأشكالية ، على طرف نقيضين ، السلام – الحرب ، التخاصم - التقاتل ، التسامع - المحبة ، هل يمكن تكنية " استراتيجية السلام " بإستراتيجية الأستراتيجيات ، لتُصبح سلام الاستراتيجية ؛ كون هذه الأخيرة كلمة ، دَرَجَ إرتباطها بمحاور الحرب والمعارك والعسكر

والدمار . وهل يمكن إيجادها واقعياً في حاضرة السلام ، وكيف السبيل اليها في ظل محاولة الأكثرية من الدول العظمى والأقليمية السعي اليها .
إن السلام مفقودٌ ، فمَن يمكنه إيجاده والتشبّث به ، ومَن يصنعه ليحافظ عليه . مَن على استعداد للبدء بالتخطيط لإستراتيجية تُعنى به . كلها أسئلة طُرحت منذ البداية ، ولاتزال الجدلية القائمة وسط العالم المُرتبك والمأزوم من الخارج والداخل أيضاً ؛ في ظل إدعاء غالبية سلاطين هذا العالم بالعمل من أجل السلام ، وسط التسابق على النفوذ بالقوة في كل مكان .
فالاشكالية تكمن في المعادلة التالية :

- كلّما إتجهت البشرية نحو السلام تعمّقت جذورالحروب بشكلٍ أكبر .

هذا يسوق الى طرح الفرضيات على الشكل التالي :

- السلام الذاتي هومنبع السلام العالمي .
- الشر في النفوس يسوق الى العنف والحروب ولا يمكنه ان يصنع السلام .
- التربية على ثقافة السلام هي القاعدة الأساسية لبناء إستراتيجية السلام .
- إن الإتجاه العالمي نحو السلام لا تكتمل فصوله إلاّ باستراتيجية السلام .

يعتمد بحث هذه المسألة على المنهج التّحليليّ الذي يقوم على عمليّاتٍ ثلاث: التّفسير أي شرحَ وتحليل ودراسة المحاور الأساسية ، والنّقد الذي يرمي الى عملية رصدٍ لمَواطن الخطأ والصواب من أجل تقويم وتصحيح بعض المفاهيم والقضايا المتعلّقة بموضوع البحث. والاستنباط وهو يشمل كلّ عملٍ يهدف إلى وضع نظريّة علمية ما، أو بناء قاعدة الأصول أو التفسير، للتّمكن من الأخذ بأحكام ونتائج يمكن ان تكون قابلة للتعميم .

من الصعب رسم الطريق لمثل هذه الاستراتيجية في ظل الأجواء العالمية الحالية ، حروب ، تطرّف وإرهاب متفاقم ، رجعية ، مجاعات ، ظلم ، منظمات وجمعيات سرية فاعلة ، شيوع منطق القوّة والقوى العظمى الخ ... لذلك ان البحث في استرايجية السلام لبلوغ سلام الاستراتيجية ، تلفّه على أرض الواقع ، العقبات من كل الجوانب ، لأن أي محاولة لإيجاد سبل تضمن التنفيذ العملي تصطدم بالأنانيات والتسابق على السلطة والنفوذ بين الأشخاص والدول على حد سواء ؛ وممن عملوا على إيجاد خطط بديلة للحرب، لم ينجحوا بذلك حتى اليوم . فيصبح ، من الصعب حينها الإتيان بنتائج منطقية مقبولة عملياً في هذا الصدد . ما يشكل صعوبات فعلية تعترض طريق البحث عن أي استراتيجية للسلام أمام هذه الحالة .
لبلوغ النتائج المرجوة ، يسلك البحث طريقه في المعالجة من خلال قسمين أساسيين: الأول يبحث مسألة أبعاد الأستراتيجية وتداخلاتها العسكرية والسياسية وصولاً لرسم استراتيجية للسلام العالمي. أما الثاني فيعالج المحاولات الحثيثة للسلام ، مع العمل على إيجاد طروحات نظرية وعملية تسهيلاً لجدوى استراتيجية السلام كحلّ مرتقب لمجمل القضايا العالمية العالقة . فالمعالجة

تدور حول الاستراتيجيا على صعيد الدول والمنظمات دون التطرق الى استراتيجية الشركات والمؤسسات الخاصة وغيرها .
تكمن الأهمية العلمية للبحث ، كون الاستراتيجية السياسية تُغني علم السياسة ، وهي الركن والدافع الأساسي للسلام العالمي ، موضوع إهتمام هذا العلم من حيث المبدأ .
اما الأهمية العملية فتكمن في العمل على ايجاد طريقة وتقنيات وآلية سياسية جادة في مقاربة الامور، وتُسهم بالتعاطي الواعي ،مع أهدافٍ واضحةٍ ومجدية تصب في مصلحة ورفاه البشرية جمعاء .

القسم الأول : بين الأستراتيجية العسكرية واستراتيجية السلام

الاستراتيجية في الأساس هي كلمة إغريقية الأصل " Strato " وتعني الجيش أو الحشود العسكرية، ومن تلك الكلمة اشتقّت اللفظة اليونانية القديمة " Strategos " وتعني فن إدارة وقيادة الحروب، لأنها مصطلح عسكري بالأساس وتعني الخطة الحربية . وهي كذلك فن التخطيط للعمليات العسكرية قبل نشوب الحروب ، وفي نفس الوقت فن إدارة تلك العمليات عقب نشوب الحروب ، وهي تتخذ جميع التدابير اللازمة لتحقيق النصر[1] . فالعديد من الكتاب اعتمدوا على الماضي وخاصة على "الانتصارات الشهيرة للملوك من أمثال إدوارد وهنري في التاريخ الإنكليزي"[2].

حتى نهايات القرن الثامن عشر كانت الاستراتيجية عبارة عن مجموعة من الخدع الحربية التي كان يستخدمها الجنرالات كوسيلة لخداع العدو في ميادين الحرب . لكن مفهوم الاستراتيجية اليوم يعني فن تنظيم الموارد والإمكانات والوسائل لإستعمالها بفاعلية في تحقيق الأهداف. ونتيجة التطور التقني والفكري وزيادة الحاجة الى التخصص ، تعددت أوجه ومستويات وحقول الاستراتيجية بحيث أصبح لكل حقل من الحقول مميزاته التي تلائم اعتباراته المعنوية ومعطياته المادية وأهدافه الخاصة به .

لكن مع العولمة ودورالشركات العملاقة المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات ، والتطورات التي طرأت مؤخراً على الساحة السياسية الدولية أصبح التأثر بالبعد الخارجي يحتل مساحة اكبر وبالتالي محاولة التأثير فيه تستحوذ إهتمامها ، اكثر ولاسيما مع تنامي المصالح وتشابكها وتداخلها وتعددها... لقد تعقّدت العملية وتغيّرت قوانين اللعبة ، وهذا ما يجهله او يتجاهله البعض متشبثاً بالتقاليد الماضية منكراً وجود مساحات جديدة ، صعبة ومعقدة ، لخلق المصالح المتبادلة مردداً

حتمية الإنتقال الى عصر إستيلاء الكبار على الصغار ، وكأن قدر البشرية السير باستراتيجية قوامها سيطرة القوى فحسب ، أي احادية التفسير والمعالجة من جهة واحدة .

فالتحليل النفسي بشكلٍ عام ، يفسّر كيفية التركيز على ناحية معينة ، قوامها ، ان الأفراد يتعرضون إلى تلقين معلوماتي من محيطهم بشكل دائم ، لكن في كثير من الأوقات يرى هؤلاء القِسم الذي ينطبق على تصوراتهم المسبقة والمثالية للأمور. فالعوامل المادية والنفسية والإطارالضيّق لمعالجة الأمور والقضايا هي في الغالب تؤدي إلى تحريف المعلومات أو رؤيتها وفق رغبة المحلل او كما يرغب أن يراها . فبعض صنّاع القرار ، وواضعي الأستراتيجيات والمحللين الأستراتيجيين يعانون من ذلك ، لأنهم يقعون في الاطار الضيّق والفردي في معالجة القضايا العامة ومنها معالجتهم الاستراتيجية . فيقعوا في التعريف الأحادي الذي يختزل القوة في القدرة العسكرية متجاهلين القوة السياسية والإقتصادية والإعلامية والثقافية والتكنولوجية والنفسية والإجتماعية والدينية والفكرية وغيرها.

وبإختصارأصبحت القدرة على اللعب في الساحة الدولية تتطلب ديناميكية كافية مستندة الى قوة داخلية متنامية بإستمرار وبالمفهوم الشامل للقوة الذي لايُختزل في القوة العسكرية فقط [3].

لذلك تتعدد مجالات الاستراتيجية حيث تشمل كافة الشؤون والطرق لبلوغ الهدف المنشود ، ونذكر أهمها في المجال السياسي ، والاداري ، والاقتصادي ، والاجتماعي والعسكري . وكثيراً ما يطلق البعض الأستراتيجية السياسية للتعبير عن الإتجاه الذي تتخذه الدولة كمؤسسة أو بالأحرى النظام السياسي بالنسبة للمحيط الخارجي و طرقه للتعامل مع الضغوط والتهديدات الخارجية . لذا نتطرق هنا للمجال السياسي ، موضوع بحثنا الاساسي كونه يشكل العامل الأهم في تحقيق السلام وتكوين استراتيجية سلام على قاعدة السياسة وأهدافها السلمية .

<u>البند الأول : الاستراتيجية ما بين العسكر والسياسة :</u>

لا بد من التذكير اولاً بأن السياسة كما يقول عنها الأنـثـروبــولــوجي الفرنسي لويس دومون Louis Dumont : "... ليست ماهية الحياة البشرية في صراع الجميع ضد الجميع، ولا يمكن أن تكون النظرية السياسية نظرية النفوذ، وإنما نظرية السلطة الشرعية"[4] ، بناء عليه ، السياسة ليست صراعاً بين الناس ، بل هي طريقة سلمية لحل المشاكل ، تنتهج السلام كقاعدة لإنطلاقتها

الأساسية . من البديهي اذا تكلمنا عن الأستراتيجية السياسية ، أن نعتبر السلام هو الهدف الاستراتيجي الذي تسعى اليه أي استراتيجية سياسية أو أي عمل سياسي من حيث المبدأ .

فالمقارنة بين النموذج السياسي و النموذج العسكري تكشف عبر التاريخ الطويل للفكر الإستراتيجي ، التغيير أو الاضطراب بين ما يمكن ان نسميه بالنموذج السياسي و النموذج العسكري. الأول يربط الإستراتيجية ببعد سام ومتفوق ، وبالقيادة العامة للحرب، بينما الثاني يتمركز ضمن إطار صارم من تنظيم الجهاز العسكري وقيادة العمليات و المعارك. هذه الثنائية تم التنظير لها في القرن العشرين مع التمييز بين الإستراتيجية الكبرى أو العامة، و القيادة الدبلوماسية ـ الإستراتيجية والإستراتيجية العملياتية. ولكن في الواقع هذا التمييز وجد منذ القرن الثامن عشر،أي منذ ظهور الفكر الإستراتيجي.
أيضاً ، هذه الثنائية توجد في العلوم الإستراتيجية المعاصرة، فكان جوميني Jomini[5] قبل كل شيء مفكراً عسكرياً كما تشهد بذلك عناوين أولى مؤلفاته: " تحليل العمليات الكبرى" ، " التاريخ العسكري لحروب الثورة". بينما نجد كلوزفيتز Clauswit [6] يربط بشكل واضح بين الحرب ونهاياتها السياسية . في الواقع، إرث Jomini هيمن على الفكر الإستراتيجي طيلة القرن التاسع عشر، أما أولوية الفصل بين السلطة السياسية والقيادة العسكرية فقادت إلى انتصار النموذج العسكري حتى عام 1914. والسبب هو أن القلق الوحيد كان في كيفية الانتصار في حقل المعركة من غير الأخذ بالحسبان مصطلحات السلام التي اهتمّت بها فيما بعد السلطة السياسية.

إن النموذج السياسي في الإستراتيجية عاد للظهور مع أواخر القرن التاسع عشر،عندما بدأ الكتاب يفكرون بما يسمى الحرب الصناعية والإيديولوجية. فالبعد السياسي ظهر عند الكاتب فون دير Von der Goltz في كتابه " الأمة المسلحة"[7]. ما بين الحربين العالميتين كان هناك اقتسام للنزعتين السياسية والعسكرية، لكن النزعة العسكرية كانت أكثر هيمنة لاسيما مع التكنولوجيا العسكرية الجديدة (الطائرة،الدبابة،الغواصة). أما القطيعة الحقيقية بين النموذجين فكانت بعد عام 1945، حيث ظهرت قوة النموذج السياسي، وكان ذلك طبيعياً بعد الوصول إلى اختراع القنبلة النووية حيث منعت التفكير بوسائل لها غايات عسكرية فقط .

بالاضافة الى ذلك كما يقال " أن الإستراتيجية هي مجموعة السياسات والأساليب والخطط والمناهج المتبعة من أجل تحقيق الأهداف المسطّرة في أقل وقت ممكن وبأقل جهد مبذول"[8]. فأي عمل سياسي منظّم يهدف الى اجراء تغيير في الواقع الاجتماعي القائم وبناء علاقات جديدة لا بد ان تكون له استراتيجية واضحة لتحقيق اهدافه البعيدة المدى على ان تغطي هذه الاستراتيجية

مرحلة تاريخية كاملة ، وان يكون له تكتيك لتحقيق تلك الاستراتيجية على شكل مراحل جزئية ، وبغير ذلك لا يكتب لذلك العمل السياسي النجاح المرجو منه .
نستخلص من ذلك ان الاولوية بقيت للسياسة وتقنياتها في إدارة كل الشؤون ، خاصة منها التغيير الاجتماعي بكافة أبعاده الداخلية والخارجية ؛ حتى ولو أن بعض الكتاب العسكريين حاولوا الإبقاء على أفكار تستلهم التكتيك أساساً للاستراتيجية مبعدين منه البعد السياسي .

من هنا يمكن القول بأن السياسة هي في صلب الاستراتيجية وهذه الأخيرة يجب ان تكون سياسية بالدرجة الاولى ، وهذا ما عبّر عنه ليدل هارت حيث عرف الإستراتيجية أنها ،" فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة" ويضيف بأن الإستراتيجية الشاملة هي تنسيق وتوجيه كل موارد الدولة وإمكانياتها للحصول على الغرض السياسي للدولة، وهو الذي تهدف السياسة القومية إلى تحقيقه ، ورغم شمولية هذا التعريف في إيجاد التلازم بين استخدام الوسائل المتمثلة بموارد الدولة وبين هدف السياسة القومية ، إلا انه حدد أهداف الإستراتيجية الشاملة بالأهداف السياسية البحته ، فوقع الخلط عنده بين الإستراتيجية السياسية والإستراتيجية الشاملة ، فاعتبر ان الإستراتيجية الشاملة ومبتغاها ،تحقيق أهداف شاملة ، توازي كافة استخدامها الشامل للموارد المتاحة للدولة، فمن غير المنطقي أن تسخّر الإستراتيجية كل موارد الدولة لتحقيق هدف سياسي مجتزأ وتترك باقي الأهداف (الاقتصادية، العسكرية، الثقافية) معلقة دون تحقيق ؛ لأن السياسة من حيث المبدأ تهتم وترعى كافة الشؤون المادية والمعنوية في الدولة . والمثال على ذلك ، إن السلام هو الهدف الأسمى للبشرية في كل مكان ، من واجب أي عمل سياسي ان يرصد له الاستراتيجية العليا او الشاملة كونه الشأن الأهم في الدولة والمجتمع . ذلك أن الاستراتيجية العليا تُعنى، كما يقال ، بـ "الاستغلال الكامل للقوى السياسية والاقتصادية والنفسية والعسكرية للدولة في السلم والحرب ، لتحقيق الأهداف التي تضمن سلامتها وأمنها" [9].

تتولى الإستراتيجية السياسية إعداد الخطط والمبادئ التي تهيئ الأجواء لتحقيق الأهداف السياسية للدولة على الصعيدين الداخلي والخارجي . داخلياً تعنى بإدارة أي برنامج وطني لتحقيق الاستقرار والرفاه الاقتصادي والاجتماعي ، وخارجياً تسعى ، عبر موائد التفاوض ، إلى تهيئة البيئة الخارجية للدولة لتحقيق أهدافها السياسية ، من تصدٍ واحتواء للخصوم ، وكسب الحلفاء والأصدقاء وتحقيق مكانة الدولة وتأثيرها . هذا الهدف يبقى ، بنظرنا سياسياً ويخدم احد أهم مبادئ السياسة ، وهو القاعدة المبنية على السلام وطريقة الوصول اليه .

البند الثاني : استراتيجية السلام

ان كلمة سلام ، تعني لغوياً ، أمان ، وصلح ، خلاف الحرب . فهي السلامة والبراءة من العيوبِ [10] . والاسم مصدره من سلَّم يسلِّم تسليماً ، وهو بمعنى النجاة والتخلّص مما لا يُرغب فيه . يقال: "سلم " من الأمر، إذاً نجا منه ، ومعناه التخلص من الآفات ، والنجاة ، أو ما يرجى له السلامة من أي خطر [11] .

فالسلام على الصعيد الفردي لا يشعر به ، ولا يعرف قيمته النفسية والروحية والاجتماعية والمادية ، إلاّ من عاش ويلات الحرب وقذاراتها. والسلم والسلام كلاهما شرطان وضرورة وركيزة أساسية لأي تطور وازدهار ونماء ورقي إنساني في جميع جوانبه المادية والأخلاقية[12]. إذ يجب أن ينبع من داخل كل فرد ، ليصبح في السياسة ، سلام الديمقراطية والحرية والمساواة ، سلام مجتمع لا قوي فيه ولا ضعيف ، لاقاهر ولا مقهور ، لاظالم ولا مظلوم ، لا مستبد ولا مستبد به ، سلام العدالة الاجتماعية ، سلام مسؤولية الشعب ومسؤولية القيادة . فهو سلام من الخارج ومن الداخل ، لا يمكن بناؤه الا بالتعاون الوثيق بين الجميع[13] . على نقيض ما يقال فيه، بأنه الخضوع والاستسلام والمذلّة والتسليم بما يؤمر به الإنسان أو يُنهى عنه. فهو قيمة تلازم أمن الحياة واستقرارها وتتيح للمجتمع تطوراً سلمياً ، بشكلٍ دقيق وواضح ، لأنه بين وضع اللاحرب واللا سلم، وأمام الحروب الذكية التي تخاض من دون الترسانة العسكرية ، وأمام السلام بمفهومه الحقيقي خيط رفيع قد لا يسهل تبيّن أسوده من أبيضه[14] .

إن السلام بمفهومه العالمي هو حالة يخلو فيها العالم أو المجتمعات من الحروب والنزاعات ويسوده الأمن والاستقرار . وبحسب تعريف الأمم المتحدة، ، إن ثقافة السلام هي مجموع القيم والمواقف والتصرفات وطرق الحياة التي تنبذ العنف وتتدارك النزاعات قبل حصولها فتعالج أصولها بالحوار والتفاوض بين الأفراد والجماعات والدول[15] . فالأمن الجماعي أو الأمن الدولي يقصد به حالة الاستقرار التي ينبغي أن تسود المجتمع الانساني ، ويعتبر إقرار الأمن الجماعي والمحافظة على السلم أحد الأهداف الرئيسية التي أنشئت من أجلها هيئة الأمم المتحدة، حيث نصت المادة الأولى من ميثاقها على تضامن الأمم المتحدة ، كبيرها وصغيرها ، وتحقيقاً لغاية السلام العالمي ، تتخذ التدابير المشتركة الفعّالة لحفظ السلم والأمن الدوليين ، ولمنع الأسباب التي تهدد السلم وإزالتها . وللتأكيد على هذا الهدف الرئيسي ، أنشات الهيئة منظمة فرعية في مجلس الأمن ، لفض أي نزاع أو أي موقف سلبي قد يؤدي الى احتكاك دولي أو أي سوء تفاهم ، من شأنه أن يعرّض حفظ السلم والأمن الدوليين للخطر ؛ وبعد استنفاد الوسائل السلمية ، له أن يستخدم عقوبات اقتصادية أو تدابير عسكرية لتنفيذ قراراته [16]. وكل ذلك من

أجل إشاعة حالة الاستقرار والسلم في العالم . وعليه ليست ثقافة السلام مفهوماً جامداً أو مجرّد قول مرصوف، بل هي قوة فاعلة متحركة وهي حاجة قبل أن تكون التزاماً داخلياً بين أفراد المجتمع وجماعاته ، أو عالمياً بين مختلف الدول.

فاستراتيجية السلام ، كما تبيّن لنا، تعني بناء السلام (peace building) ومعنى ذلك الوصول الى سلامٍ دائمٍ من خلال إقامة مؤسسات اقتصادية وسياسية وتربوية ضرورية لإقامة السلام المبني على العدل الأجتماعي ، وإزالة أسس الظلم وأركان العنف ومبررات النزاع [17] . إذاً استراتيجية السلام كونها جزءاً لايتجزأ من الاستراتيجية السياسية ، هي في صلب اهتمامات العمل السياسي وتعنى بالتنافس السلمي الحضاري ، لأن السلام العالمي هو المثل الأعلى للحرية السياسية داخل جميع الدول وبين الشعوب.
إن السلام العالمي هو فكرة طوباوية من اللاعنف ، الذي من خلاله تتقارب الدول ، إما طوعا أو بحكم النظام الذي يمنع الحرب. على الرغم من أن السلام يُستخدم أحياناً للإشارة إلى وقف جميع الأعمال العدائية بين جميع الأفراد، فالسلام العالمي الأكثر شيوعاً يشير إلى نهاية دائمة للحروب العالمية والإقليمية مع حل الصراعات في المستقبل من خلال وسائل غير عنيفة . السلام العالمي هو التمثيل الأعلى للحرية والسلام والسعادة بين جميع الدول أو الشعوب وبين جميع أعضاء الجنس البشري ، وهذا ما يطمح اليه كل الناس في أي دولة في العالم [18].لأن السلام هو تحقيق الرفاه والعدل الأجتماعي والمساواة ، وضمان حقوق الانسان ، كونه يشمل غياب العنف غير المباشر أيضاً ، مثل العنصرية والتحيز والتمييز ، وصولاً الى انهاء العنف البنيوي كالفقر والمجاعة وغيرها [19]. وكل هذه الاهداف هي في صلب استراتيجية السلام .

ثمة رأي يقول باعتماد "استراتيجية الحرب" عملاً بمبدأ "إن ما أُخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة"، وهذا يتطلب تعبئة كل الطاقات البشرية والاقتصادية والمالية لإنجاح هذه الاستراتيجية بالقوة والحرب ، وان أي استراتيجية أخرى مثل استراتيجية المفاوضات لا جدوى منها بدليل أنّ اعتمادها تاريخياً لزمن طويل لم يسفر عن نتيجة. ولكن في الواقع ، ان استراتيجية السلام، تبقى الأصلح والاقل كلفة مهما طال الوقت، وخصوصاً ان "استراتيجية الحرب" جُرّبت غير مرة وخلال سنوات ، ولم تصل في أي مكان الى السلام ، ولم تستعد حقوق أي شعب بشكل عام ؛ ما خلا بعض الحالات القليلة . وليس سوى الضغط السياسي والاقتصادي الذي تمارسه الدول المُحبّة للسلام على الدول المعتدية ، ما يجعلها ترضخ للحق والعدل، مع سياسة تبادل الافكار توصلاً الى حلول عادلة لأي قضية. وينطبق هذا الواقع، كمثال ، على الصراع العربي الأسرائيلي ، لأن الزعماء العرب عندما رفعوا في الماضي شعار "اللاءات الثلاث" في قمة الخرطوم، لاحظوا انها مع الوقت أخذت تسقط الواحدة تلوى الاخرى، وان القول بلا للمفاوضات مع اسرائيل ولا

للصلح معها من دون الاتفاق على البديل ، معناه ابقاء الوضع الراهن اي "الستاتيكو" الذي تأكد انه في مصلحة اسرائيل ، التي تهرب من السلام بقدر ما تستطيع كي لا تدفع ثمنه باعادة الحقوق الفلسطينية المشروعة والانسحاب من الاراضي التي تحتلها، وليس برفض مبادرة السلام العربية من دون تقديم بديل ، وقبل ان تحدد اسرائيل موقفها النهائي منها وتتحمل مسؤولية رفضها [20] .

لقد تحددت أهداف السياسة والاستراتيجية السياسية بالأمن والأمان ، ذلك يعني أن السلام هو الهدف الأول والأخير لأي استراتيجية سياسية من حيث المبدأ ، ولكن السلام له عدة مداخل ومخارج بحيث يلزمه آليات وشروط تؤدي اليه ، وكذلك له مفاعيل مهمة على الحياة اليومية لأي مواطن وعلى مستقبل البشرية جمعاء ، بحيث أمكن القول ، لا مستقبل للبشرية دون السلام بين الناس وفي كل الأوطان .
فمن منطلق الأعتراف بأنه لا سلام للبشرية دون وجود ذلك داخل الفرد ، ولا يمكن لهذا الفرد ان يكون مسالماً الاّ بعد معرفته وتثقيفه على السلام ، لأن "فاقد الشيء لا يمكنه ان يعطيه " و"الأناء دائماً ينطح بما فيه" . فالسلام يجب ان يكون في صلب إيديولوجية الشعوب وبذلك يوحّد أهدافها وأخيراً يوحدها فتحصد الاستراتيجية غايتها المرجوة منها . وكذلك الاستراتيجية ان كانت عسكرية او سياسية او غير ذلك تبقى خاضعة لإيديولوجية معينة وبحسب ثقافة من يتبعها حيث سجّلت أو طرحت عودة النموذج السياسي وبقوة على الساحة، سؤالاً جديدا طالما تم تجاهله، وهو العلاقات بين الإيديولوجية و الإستراتيجية. في البداية، الإستراتيجية تم إدراكها كجزء أساسي من عملية تقنية،أما كجزء من إيديولوجية عامة للمجتمع،فلم تأخذ قيمتها سوى بشكل بسيط جداً. ونكتفي بالإشارة هنا إلى أن أحد كبار الإستراتيجيين مثل كلاوزفيتز Clausewitz قد تأثّر كثيراً بالمفكرين الألمان هيغل و فيخته وكبار المؤلفات الفلسفية في عصره. ويعتقد بعض مؤرخي علم الإستراتيجية أنه كان استثناء من بين الكتاب الإستراتيجيين في ذلك الوقت.

واليوم ، مع تعميق الأبحاث والدراسات يمكننا فهم السياق الأيديولوجي الذي ظهرت فيه النظريات الإستراتيجية، ثم تطورت وتراجعت[21]. ويبقى ان نقول ان الاستراتيجية تتأثر بأفكار وعادات وتاريخ الشعوب ؛ فإذا ما سادت فكرة او ايديولوجية السلام على عقول الشعوب ، تتحقق استراتيجية السلام ، ومعها تصل البشرية الى غايتها .

القسم الثاني: الاسس والخطوات نحو استراتيجية السلام

كما تبين ، هناك عدة عوامل ومصادر وأحداث توجب ضرورة اعتماد استراتيجية للسلام لتطغى على أي استراتيجية عسكرية أو حربية تقليدية مهيمنة ، فالسلام كما أشرنا هو شرط محتّم لخلاص البشرية من ضالتها ، ان على الصعيد الداخلي لدى افراد المجتمع أو على مستوى المجتمعات والدول والعالم أجمع .

وهنا يصح طرح السؤال ، كيف نرسخ هذه الثقافة في حياتنا، أي كيف ننقلها من المبادئ وحتى من القلوب والعقول إلى مجاري حياتنا ومؤسساتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحقوقية فتصبح إذّاك قوة حياة فاعلة وواقعاً حياً ملموساً[22]. الاجابة تتمحور حول معرفة الأسس والخطوات التي انجزت في هذا الحقل ، ومن ثم القاء الضوء على الخطوات الآيلة او المساعدة لبلوغ هذه الأستراتيجية درجة معينة بغية البدء بتنفيذها .

البند الأول :أسس وتطور جهود السلام

إن المقاربات الفكرية والعملية لمسألة السلام متصلة إتصالاً وثيقاً بمجرى التاريخ وأحداثه المتلاحقة ، التى مهّدت اليها . وهي لم تتوقف يوماً لدى المفكرين والفلاسفة والأصلاحيين والتجمعات والأديان في مجمل العصور وحتى اليوم ولدى كل الأمم .

على الرغم من ذلك ، فالتقدم نحو القول بضرورة إطلاق استراتيجية للسلام تطوّر بشكل بطيء ؛ خاصة لناحية التطبيق العملي عبر التاريخ ، فكانت الشعوب تأمل بوجود السلام . وفي الشرق القديم ، وخاصةً عند عرب الجاهلية سادت الحروب بين القبائل ، فالاتفاقيات بينهم كان أكثرها من أجل الهدنة وعدم التعدّي على الغيرأكثر منه لأجل السلام بالمعنى المطلوب . وإرتكز السلام عندهم بعد ذلك ، على المفاهيم الدينية المُنزلة ، وكل الجهود اتخذت الصبغة الدينية على حساب المدنية والعلمانية منها ؛ وسوف نشير الى أهمها وأهميتها عند تحليل المصادر الروحية لبناء استراتيجية السلام . أما الجهود الغربية لصنع السلام ، تعددت وتنوعت وتلاحقت على مر الزمن ، فكانت موثّقة أكثر مما هي عليه في الشرق ، لذلك يجب عرضها بالشكل التالي:

أ ـ العصر الإغريقي :

تشكلت الحضارة الأغريقية من مجموعة مناطق مستقلة فاطلق عليها ، الدول ـ المدن مع محاولات متعددة للحد من الحروب بينها آنذاك ، أبرزها تشكيل تنظيم ، أطلق عليه إسم العصبة الأمفكتيونية Amphictyonic [23]. كان يحظّر على الاعضاء المنتمين اليه تدمير أي آخر في التنظيم أو قطع إمداداته من المياه. وكانت الألعاب الأوليمبية تشكل مناسبة لجمع الدول ـ المدن

مرة كل أربع سنوات، فتقوم بينها هدنة تخلق جواً من السلام الظرفي (بداعي الحاجة) في طول البلاد وعرضها لإتاحة الفرصة لإقامة تلك الألعاب .

ب- الإمبراطورية الرومانية :

قامت الإمبراطورية الرومانية بحفظ السلام بالفترة التي سميت باسم السلام الروماني الذي امتد من 180ق.م الى 72ق.م . وفي هذه الفترة توسّع نطاق الإمبراطورية ، فوصل الى انحاء كبيرة من أوروبا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا. في ذلك الوقت، لم يكن هناك أي دولة لها من القوة ما يمكّنها من مهاجمة الرومان[24] .

وبعد ذلك نشأ العرف الكنائسي الذي عرف بإسم سلام الله ، إذ عندما نشأت الحروب في اوروبا خلال فترة ضعف الإمبراطورية الرومانية ، أصبحت الكنيسة هي القوة التي تدعم السلام ، فصارت أيام القتال في المنازعات تقتصر على أيام معينة في الأسبوع . ووجد حكم كنائسي آخر باسم سلام الله الذي حرم القتال في الكنائس والأضرحة ، لكن الكنيسة سمحت بالحروب،التي تُعزز موقعها في المنطقة[25] .

ج- بين القرن الخامس عشر والثامن عشر :

ظهرت خطوات متعددة لتحقيق السلام في أوروبا ، أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، من روادها ، الفرنسي ماكسيمليان دي بيثون Maximilien de Béthune ، الهولندي دوق سلي duc de Sully . فاقترحا تشكيل مجلس من ممثلي الدول الأوروبية تكون مهمته حلّ الخلافات التي تقوم بين الدول. وكذلك اقترح هوغو غروتيوس Hugo Grotius الهولندي في كتابه قانون الحرب والسلام عام 1625م ، مجموعة من قواعد السلوك الدولي ، التي اعتُبرت أساساً للقانون الدولي فيما بعد. ومن هذه الأفكار القول ، بأن السلام شيء جميل جداً ويكون ذلك بعد حدوث صراع ما ، مهما كان ، في الدولة أو بين دول مختلفة أو بين أصدقاء أو زملاء في العمل او حتى ضمن العائلة . فالوصول الى السلام المتكامل والراحة النفسية الجيدة والشعور بالأمن والاستقرار ، يفرض علينا اتخاذ اجراءات منسقة ومتكاملة وما شبة ذلك ، لإزالة الاسباب التي قادت الى النزاع والعنف من جذورها ، حتى لا تعود مجدداً . كما ان هناك العديد من انواع النزاعات التي قد تحدث ، ويكون لها تأثير سلبي على الافراد والمجتمعات ،وهي النزاعات السياسية والقانونية أو الانسانية[26].

في عام 1647م، أنشأ الزعيم الديني الإنكليزي جورج فوكس George Fox جمعية الأصدقاء التي تشتهر اليوم باسم جمعية الكويكرز quakers ، وتؤمن هذه الجماعة بأن تعاليم السيد المسيح تُحَرِّم الحرب، لذا عارض أعضاؤها الحروب طوال تاريخ وجودهم، وساندوا حركات السلام. وكذلك عام 1648م إنتهت حرب الثلاثين عاماً بتوقيع معاهدة وستفاليا ، التي حاولت أن تضمن السلام من خلال إقامة توازن القوَى،الذي يعتمد على التوزيع المتساوي للقوة العسكرية والاقتصادية بين

الأمم، بحيث لا يكون لدى أي دولة أو أي مجموعة من الدول القوة الكافية لغزو أي دولة أو مجموعة أخرى من الدول .

عام 1713م قام رجل الدين الفرنسي، القس شارل أريني كاستل دي سان بيير Charles Irénée Castel de Saint-Pierre بنشر مؤلفه مشروع للسلام الدائم دعا فيه لإقامة مجلس شيوخ أوروبي يضم 24 مندوبًا يمثلون دول أوروبا .

أن ظهور روسو وكانط J.J.Rousseau & Kant على مسرح المشاريع الفلسفية أعطى مقارباتٍ لسلام شامل،بالاضافة الى فلسفة هوبز Thomas Hobbes السياسية والأنثروبولوجية في كتابه الشهير لوفياثان Léviathan ، الذي يعتبر فيه ان الإنسان ذئب لأخيه الإنسان Homo homine lupus. . لقد هاجم روسو هذه النظرية، وبالنسبة إليه، ليست الحرب إلا حصيلة فساد البشر وتقهقرهم الأخلاقي؛ إنها المرض الفتّاك الذي يجتاح الجسد السياسي والاجتماعي. أما الفيلسوف الألماني كانط Kant فكان له المساهمة الفلسفية الأكثر وَقْعاً في العقول من خلال مقالته الشهيرة ، من أجل السلام الدائم – مشروع فلسفي (عام1795). وكذلك لسِّنغ وهِرْدِر Lessing-Herder أيدا النظرية القائلة بأن الغلبة ستكون في منتهى المطاف لقوى الخير والقيم الإنسانية على قوى الشر[27].

د ـ مرحلة القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

كان المفكر الألماني جان بولJean Paul ، صاحب النبوءة المبشِّرة بالتلاشي الحتمي للحرب، يشدِّد في كتابه إعلان الحرب على الحرب (عام1809) على أن الحرب هي التي ستنتهي بقتل الحرب؛ فمن فرط ما ستدركه من تطور تكنولوجي ستبيد الحربُ ذاتَها. غير أن هذه النبوءة لم تجد أيَّ صدًى في كتاب كارل فون كلاوزفيتز Carl von Clausewitz في *الحرب* (عام1831). ينظر هذا المؤلِّف، من موقعه كخريج الأكاديمية العسكرية، إلى مبدأ الحرب في إيجابية ويُدخِلُها كعنصر أساسي في العمل السياسي والديبلوماسي، إذ يقول: "إن الحرب هي متابعة السياسة بوسائل أخرى." في حين أن كارل ماركس Karl Heinrich Marx لا يرى أن الحرب مرشَّحة للاستمرار كجزء لا يتجزأ من العمل السياسي الاجتماعي، ويوكّل مهمة إزالتها الى اتحاد العمال وراء الحدود؛ فهم وحدهم قادرون على معالجة مسألة العنف والحرب حسب رأيه .

أما بالنسبة إلى فرويدSigmund Freud فإن حلم إزالة العنف والحرب لا يمتُّ إلى الواقع بأية صلة، لأن المكوِّنات الأساسية للطبيعة البشرية قائمة في جوهرها على نزعتين متناقضتين: نزعة الموت *Thanatos* ونزعة الحب *Eros* في مدلولاتها الواسعة، أي كل نزعة إلى التقارب والتحابِّ والتلاقي. بحسب رؤيته، من المستحيل القضاء على نزعة الموت والعنف في الطبيعة البشرية؛ وأقصى ما يمكن أن نبلغه هو أن نحوِّل هذه الطاقة التدميرية إلى موضوعات أخرى

تكون صمَّام أمان ومُتَنَفَّس لهذا الاحتقان الطبيعي. ويتوّج مداخلتَه بالملاحظة التالية: "كلُّ أمر يساهم في نمو الثقافة يضرُّ بمصالح الحرب."[28]

بالاضافة الى هذا الاسهام ،هناك الكثير من الذين أعنوا بالسلام وفلسفة السلام وانشاوا مؤسسات لذلك في تلك الحقبة ، ومنهم رجل الأعمال الأمريكي ديفيد ل.دودج David Low Dodge الذي أنشأ جمعية نيويورك للسلام التي كانت أول منظمة في الولايات المتحدة تهدف إلى الحفاظ على السلام .

في القرن التاسع عشر الميلادي عقدت عدة مؤتمرات دولية لمناقشة موضوع حفظ السلام، فعقدت مؤتمرات للسلام في لندن (1843م)، وفي مدينة بروكسل ببلجيكا (1848م)، وفي باريس (1849م)، وفي مدينة فرانكفورت بألمانيا (1850م). وفي عام 1898م، دعا نيقولا الثاني Nicolas II قيصر الروس إلى عقد اجتماع دولي لمناقشة موضوع الحد من التسلح ونتج عن هذه الدعوة انعقاد مؤتمر لاهاي في هولندا عامي 1899م و 1907م. وعلى الرغم من أن هذين المؤتمرين لم ينجحا في الحد من التسلح، إلا أنهما أديا قيام المحكمة الدائمة للتحكيم لتتولى أمر المنازعات القانونية التي تنشأ بين الأمم[29] .

على المستوى الفردي، شعر الكيميائي السويدي ألفرد ب. نُوبل Alfred Bernhard Nobel الذي اخترع الديناميت بالأسى لما أحدثه اختراعه من وفيات وإصابات في وقت الحرب، فرصد في وصيته مبلغاً من المال لتمويل عدد من الجوائز السنوية من بينها جائزة لعمل مميز يسهم في تحقيق السلام العالمي. وقد منحت أول جائزة من جوائز نوبل للسلام عام 1901م .، وبين عام 1901 و2015 منحت أكثر من ثمانين جائزة نوبل، جوائز[30] .

عندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عام 1918م، قامت مجموعة مكونة من 42 دولة بإنشاء عصبة الأمم. وكان هدف تلك المنظمة الدولية الحفاظ على السلام في العالم أجمع. وطبقاً لنظام عصبة الأمم، كان على الدول الأعضاء فض المنازعات التي تنشأ بينها عن طريق عرضها على مجلس العُصْبَة، أو عرضها للتحكيم أو قبول حكم طرف ثالث. ولكن عصبة الأمم لم تكن لها سلطة كبيرة. ويعود ذلك على الأرجح ، إلى عدم انضمام الولايات المتحدة وبعض الدول الكبيرة الأخرى إلى عضويتها[31].

هـ - الجهود الدولية الأخيرة لتحقيق السلام

عند انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام 1945م، قامت عدة محاولات لتحقيق السلام الدائم بين كافة الأمم ، أهمها منظمة الأمم المتحدة ، فكانت أهم الأشكال التي تضمنتها جهودها ما يلي: حقوق الأنسان ، الدبلوماسية ، المنظمات الدولية ، نزع السلاح،الأمن الجماعي ، تحسين الاتصالات

والتجارة الدولية. كلها منظمات تعني بالسلام والعلاقات الدبلوماسية والأمن الجماعي ونزع السلاح وسلامة التجاره في كل انحاء العالم ومنها ما يلي :

- شرعة حقوق الأنسان والمواطن :

قامت منظمة الأمم المتحدة بسلسلة جهود دولية متعددة ، وأهمها شرعة حقوقق الانسان والمواطن عام 1948 التي كرّست الحقوق الاصلية للانسان في كل مكان من العالم ، فكانت الخطوة الأهم في شأن السلام العالمي وعلى صعيد الأفراد ، تسعى الى تدعيم السلام . يمثل هذا الإعلان أول وثيقة دولية خصصت بالكامل للحديث عن حقوق الإنسان جملة وتفصيلاً، بكونه ثمرة مسيرة طويلة من العمل الدولي الجاد نحو بلورة حقوق الإنسان وصياغتها وإعلانها لتنبيه جميع الدول والحكومات والمنظمات بها وضمان احترامها لها. تحتوي على الحد الأدنى المشترك الذي يجب أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم لتوطيد احترام حقوق الإنسان الأساسية وحرياته عن طريق التعليم والتربية واتخاذ الإجراءات المطوّرة قومياً وعالمياً لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة فعالة بين الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وشعوب الأراضي الخاضعة لسلطاتها.

يتألف الإعلان من 30 مادة، تتصدرها ديباجة (مقدمة) تستعرض الدوافع والغايات الموجبة لصدور هذا الإعلان وإقراره، ومما جاء فيها:

إن الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم، ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد، فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، وأبرز ما جاء في أهم مواد الإعلان الآتي[32]:

- يولد الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق(المادة الأولى).

• لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء.. (المادة 2).

• لا يعرض أي إنسان للتعذيب و لا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة.

• لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً (المادة 9).

• لكل فرد الحق في أن يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء إليها هرباً من الاضطهاد (من المادة 14).

• لكل شخص الحق في حرية التفكير والتعبير والدين، ويشمل هذا الحق تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنها بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة (من المادة 18).

• وبالنسبة للمواد من 4 إلى 21 فإنها تتضمن الحقوق المدنية و السياسية المعترف بها للإنسان، كالتحرر من الاسترقاق والاستعباد، وعدم التعرض للتعذيب أو العقوبات وإنصافه قضائياً، وعدم جواز تعرضه للقبض التعسفي أو الحجز أو النفي، وحقه في أن يتم النظر في قضاياه أمام محكمة مستقلة واعتباره بريئاً إلى أن تثبت إدانته . وقضت المواد بحق الشخص في عدم التعرض للتدخل التعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو حقه في حرية التنقل واللجوء والتمتع بجنسية ما والتزوج وتأسيس أسرة، وحقه في الملكية الخاصة منفرداً، أو مع آخرين، وحرية التفكير والدين والرأي والتعبير والاشتراك في الجمعيات أو الجماعات السلمية وفي إدارة الشؤون العامة لبلاده.

- وتنص المواد 28-29-30 على حق كل إنسان في التمتع بنظام اجتماعي تتحقق بمقتضاه جميع الحقوق والحريات الأساسية للإنسان كاملة.
- وينتهي الإعلان بالمادة الثلاثين التي تقول إنه لا يوجد ما يخول دولة أو جماعة أو فرد الحق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة في الوثيقة.

بالاضافة الى هذه الشرعة هناك العديد من النشاطات تتلخص بما يلي:

- عام 1976 أكدت هيئة حقوق الإنسان حق كل شخص بالحياة في حالة من السلام والأمن.
- عام 1978 أكدت الجمعية العمومية للأمم المتحدة في إعلان لها ، تحضير المجتمعات للعيش بسلام[33] . واكدت في مادتها الاولى ، أن كل الأمم وكل الكائنات البشرية لها حق أصيل بالعيش بسلام في كل الدول وعليها واجب أخذ التدابير الكفيلة بتنشيط المثل العليا للسلام.

- إن إعلان حق الشعوب بالعيش بسلام ، الذي صدقته الجمعية العمومية للأمم المتحدة بقرارها رقم 11/39 تاريخ 12 تشرين الثاني لعام 1984 تناول إعادة تأكيد المهمة الأساسية على عاتق منظمة الأمم المتحدة وهي حفظ السلام والأمن الدوليين [34] ، لكنها إقتصرت على الشعوب، من دون ذكر حق الأفراد بالسلام، معتبرة أنه حق مقدس وأن تحقيقه يجب ان يقع على عاتق كل دولة.

- وفي 26 حزيران عام 1989 في ياماسوكروYamoussoukro ، عقدت الأونيسكو مؤتمراً بعنوان: «السلام في عقول الرجال»، ومن طروحاته الأساسية تطوير ثقافة السلام [35].
- مؤتمر باريس في شباط 1994 بعنوان: «المؤتمر الأول لثقافة السلام» وفيه تم تحديد مفهوم ثقافة السلام. وفي عام 1997 أعلنت الأونيسكو بوضوح إرادتها بأن تجعل من السلام حقاً إنسانياً: «على أن حق الإنسان بالسلام يشكل أساس ثقافة السلام »[36].

- في 20 تشرين الثاني 1997 صدر قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم 15/52 أعلنت فيه السنة 2000 سنة عالمية لثقافة السلام. وكذلك قرارها رقم 25/53 تاريخ 10 تشرين الثاني 1998 أعلنت فيه الفترة الممتدة من 2001 حتى 2010 «عشرية عالمية لتشجيع ثقافة اللاعنف والسلم لمصلحة أطفال العالم» [37].

- وفي 13 أيلول 1999 تبنت الجمعية العمومية إعلاناً حول ثقافة السلام ثم أتبعته بخطة عمل متكاملة وذات أهداف واستراتيجية واضحة تلحظ أهدافاً للمؤسسات الدولية وللمجتمع المدني، كي تشكل أساساً للسنة العالمية لثقافة السلام وللعشرية العالمية المذكورة [38].
ومن الأهمية بمكان ، إن هذه النصوص والنشاطات، على أهميتها في بناء ونشر ثقافة السلام، تبقى غايتها بعيدة المنال في عصرنا، وقد طاولت الحروب والنزاعات والارهاب مناطق كثيرة ووقفت الأمم المتحدة عاجزة أمام حل القضايا العادلة . وغالباً ما تخضع مؤسساتها لمصالح الدول الكبرى التي انتصرت مصالحها في الحرب العالمية الثانية، تحركها أو تجمد حركتها بحسب مصالح وقوة الأقطاب أو القطب المهيمن عليها، وهكذا يغيب السلام ويحل العنف بشكلٍ شبه دائم .

من الملاحظ ، أن أغلبية المساهمات في موضوع السلام تولد من رحم الأوجاع والأحزان وتتميز، بالتالي، بالتواصلية. فكلُّ مشروع يستند إلى ما سبقه من مقاربات، ويضيف إليها رؤى جديدة. من هنا تأثُّر روسوRousseau بالأب دو سان بيار-Jacques-Henri Bernardin de Saint Pierre ، وكانط Kant بالاثنين معًا، وتأثُّر الرئيس ولسون، أحد صانعي عصبة الأمم، بكتابات كانط.

كما رأينا أعلاه، منذ القرن السادس ق. م وإلى يومنا هذا، ما فتئ العالم يفتش عن آليات ونظم ومؤسسات تعمل لإرساء السلام بديلاً من التعارض المسلح كمحرّك أساسي لأحداث التاريخ ومقوّمات الحياة . وكذلك للنأي بالعالم عن الصراع الدموي مبعث اللا حياة واللا تطور. فالصراع الدموي يؤدي الى إعتبار الآخر، المختلف عرقيًّا وثقافيًّا ودينيًّا وسياسيًّا كما يقال عنه، "خطراً على وحدة المجتمع وتماسكه، وحدّاً لنمو الأنا المختلفة. إن مبدأ الصراع هذا، حوَّل الزمن البشري إلى تاريخ مأسوي، تتوالد فيه المصائبُ بعضها من بعض في حلقة العنف المفرغة"[39].فالمساعي تواصلت ويجب ان تكمل طريقها نحو النصر الآتي من جرّاء إعتماد ذهنية السلام بديلاً من الحرب والدمار ، واستحالة الاستراتيجية وتسخيرها في سبيل السلام ووحدة السلام .

البند الثاني : آلية وخطوات نحو استراتيجية السلام

من خلال عرض المساعي الدولية للسلام في البند السابق ، تبيّن ان الحرب والقوة العسكرية ، وتوازن القوى والرعب ، ما زالت في أساس علاقات الدول مع بعضها البعض ، والقوة وحدها تتحكم بمسألة السلام والأمن في العالم . فازدادت الحروب وتنافست الأمم وهُددت البشرية بالفناء أكثر من مرّة ؛ بالرغم من المساعي الدولية الحثيثة بواسطة المنظمات والجمعيات وفروعها التي عملت وتعمل بشكلٍ متواصل لرأب الصدع بين الدول ، وخاصة المتصارعة منها . ان هذه المساعي الجادة لدى المجتمع الدولي ، تشير الى تقدّم مستمر ومشجّع لرسم أي استراتيجية محتملة للسلام ، وهناك مثال على ذلك يبرهن عن هذا التطور في القول ،" وكما اسهمت ويلات الحرب العالمية الأولى في ظهور طروحات مثالية فقد أسهمت الحرب الثانية في بروز طروحات جديدة حول النظام الدولي الأفضل لحفظ السلام "[40].

وهناك الكثير من الأمثلة تدعم هذا الرأي ؛ بالرغم من التشاؤم الحاصل في عالم اليوم ، لناحية تفاقم الحروب والأحداث والصراعات والتوازنات القائمة على التنافس في اقتناء القوة العسكرية[41] ، وخاصة منها النووية في كل مكان ، فذهنية السلام عند القيّمين على الحكم عالمياً وفي كل دولة ومجتمع ، ما زالت غير كافية للقول بمستقبل آمن للبشرية على المدى القريب والبعيد على حد سواء . لذلك ، لا بد من وجود استراتيجية سلمية لدى الشعوب والأفراد معاً ، فما على الدول والمنظمات إلاّ إعادة النظر بسياساتها تجاه مستقبل البشرية المهدد بالانهيار في أي وقت ، وذلك هلى اسس وثوابت تضمن التنفيذ العملى على أرض الواقع وليس بمراقبة ما يجري وإعطاء النصح فحسب ، بل بواسطة البدء بتنفيذ خطوات عملية واضحة بالمضمون والزمان والمكان .

لقد تبين لنا ان السلام وحده يؤمن للشعوب السعادة المرتجاة في كلِّ مجتمع . أما الحرب، فعلى العكس من ذلك، تفرغ الدول من شعوبها، وتُنَصّب الفوضى على عرش الحكم، لأنها تتنافى والحقوق الأصيلة للإنسان والإنسانية. حيث عبّرعن ذلك فيلسوف السلام روسو J.J.Rousseau، بما معناه ، مهما تكن الانتصارات خارقة لا تستطيع أبداً أن تعوّض على الأمة خسائرها البشرية والمادية والأخلاقية وغيرها إبان الحرب. فالانتصارات تفتح جروحاً عميقة لا تندمل إلا بفضل السلام. فالحالة الصحية والطبيعية هي حالة السلام، انها وحدها التي تنمّي كلَّ الخلايا والأعضاء في الجسد الاجتماعي نمواً ضروريًّا من خلال التطور السكاني والعمراني.

نستخلص مما تقدم هناك فكرتين تستحوذان على أحلام البشرية التائقة الى الحرية والأمان، الأولى تدور حول الإحباط من جرّاء المسار الذي تأخذه أحداث العالم، الثانية السعي إلى تجاوزها مع الحلم بسلام دائم بين الشعوب. فالحل حينذاك يتخذ منحيين أساسيين يرتكزان على الفكرة االثانية التي تطرح تجاوز الحالة المأسوية الحاصلة ، على الشكل التالي :

- خلق نظريات أمام كلِّ مجتمع لكي ينسج أحلامه وتطلعاته على نحو يسيطر عليه نوعٌ من حرية الاستنباط والحبك التنظيري، من دون الخضوع لقوالب جاهزة لتعليب وتسييره ، وهذه الحالة تتطلب الثورة العامة أو الثورات في كل مكان مع ما يترتب على ذلك من مخاطر ، لأن الثورات لا تأتي دائماً بالنتائج المرجوة. فالأفضل إتخاذ النظريات كإطارأو قاعدة أو مستند أو مثال أعلى ، من أجل للتنفيذ .
- الإنطلاق من الواقع الاجتماعي السياسي الثقافي المعاش وتطويره لبناء مؤسسات كفيلة بتجاوز المرحلة الصعبه مع تقدم الزمن ، عبر مراحل طويلة الأمد ، فخطورة هذا المنحي هي الوقوع في الاحباط لأنه بحاجة الى النفس الطويل والعمل المضني ، وهذه هي إحدى عوامل قصوره . ومع ذلك من الأفضل الأنطلاق من الواقع وتحسينه لبلوغ الهدف الاستراتيجي المقصود .

وفي كلا الحالتين لابد من القناعة برسم أو بناء إستراتيجية سياسية جادة تعتمد النظريات والافكار كأطار للعمل ، والواقع المعاش والخبرات الأجتماعية والشخصية إستناداً الى الماضي والحاضر للإنطلاق الى الحل بخطىً ثابتة وبواسطة مؤسسات مؤهلة لذلك ، تؤدي جميعها الى الحل الأكثر ضمانة للسلام .

أ – الإطار النظري للحل

تكمن المصادر التاريخية لأخلاقيات الفضيلة في كتابي أرسطو وتوما الأكويني . والأساس الفلسفي للتربية على السلام يكمن في أخلاقيات الفضيلة المرتكزة على أهمية تنمية شخصية الفرد ، وتشجيع التعاون والتفاعل والأنسجام مع الآخرين . وبما أن احترام الآخر والبعد عن العنف من الفضائل الرئيسية[42] ، يجب ان يكتسبها الانسان ويعمل على تطويرها للنجاح في مسيرة التغيير نحو السلام . ومن الناحية السياسية ، دعا إدموند بيرك Edmond Burke للوقوف ضد التغيير الاجتماعي العنيف ، والدعوة للتربية على السلام بشكل سلمي ، والتركيز على إقامة الدولة-الأمة المستقرّة والقوية كصمّام أمان ضد ظهور العنف الذي يرفضه مبدأ وثقافة السلام . فالتربية على السلام يجب أن تخاطب العقل والقلب معاً ، وان تكون عملية طويلة الأمد ، وشاملة ، ومستمرة لتوسيع آفاق الطلاب ومداركهم في كل ما يتعلق بالسلام [43] .

وإذا كان لسِّنغ وهِرْدِر Gotthold Ephraim Lessing & Johann Gottfried Herder لم يحدِّدا في دقةٍ محتوى انتظار البشرية لهذا الأفضل الذي تَعِدُ نفسَها به ، فإن كانط Kant رسم حدود

أعلى درجات الطموح للأحلام البشرية وأطَّرها بفكرة جامعة شاملة هي ، الخير السياسي الأعظم الذي يحقق المجتمع الكامل من خلال حِلف يجمع كلَّ الشعوب في جمهورية عالمية، ويزيل، بالفعل عينه، عوامل تفجير الصراعات والحروب، ويرسي سلاماً أبديًّا ترعاه الشرائع والقوانين.

لا يوافق فيخته على كلِّ أفكار كانط هذه . فهو يرى في اقتراح قيام "اتحاد الدول الذاتية الحكم" مرحلة انتقالية، لأن السلام، بحسب رأيه، لا يتحقق إلا في دولة الشعوب État des peuples. ولهذه الغاية السامية، ينبغي على كلِّ دولة أن تقوم بعملية إنضاج سياسي واجتماعي واضح المعالم، يصبُّ في نظام حكم عادل وعقلاني، يكون مدخلاً إلى تنظيم شامل وثابت للعلاقات الدولية، تقوم عليه "دولة الشعوب". فهو يشدد في هذا المجال على النقطة الآتية:

إن الدولة التي ترعى تنظيماً داخلياً غير عادل ستسعى حتماً إلى نهب جيرانها، بغية تأمين نوع من الانفراج لمواطنيها المقهورين، والوصول إلى موارد جديدة[44] .

من الناحية الايديولوجية والدينية ، وبالرغم من الفضائل الأساسية التي تبشر بها الأديان والشرائع ؛ ولكن بالحقيقة كا يقال ، "ان انتماء العالم الى ايديولوجية او دين واحد ليس ضمانة للإستقرار ، فالتاريخ حافل بالاثباتات على ان هذه الحالة ، بعد ان تتوسع وتستقر ، تنتهي الى خلافات داخلية وحروب أهلية وتتفكك الى أنظمة معادية " [45]. فالسلام قيمة أساسية في حياة الأفراد والجماعات والشعوب والأمم ، لا بل البشرية جمعاء . سعت وتسعى الأديان للعمل من أجل بنائها ونشرها في العالم .

ان الكنيسة المسيحية تؤمن ، بالسيد المسيح كمخلص ليعطي العالم سلام الله وليعلمهم كيف يعيشوا بسلام . وظهر ذلك منذ يوم مولده عندما رتلت الملائكة فوق مغارة بيت لحم "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام والرجاء الصالح لبني البشر" (لوقا 2/15) ... ومواقفه ورسالته وتعاليمه دعوة متواصلة الى السلام مع الله ومع الذات ومع الأنسان .آيات كثر لامجال لذكرها هنا كلها تدور حول السلام والمسامحة بأبعد مراميها ، على صعيد الذات الانسانية والعالم والكون وديمومته .

تعاليم الكنيسة كلها هدفها السلام وتريد ان تبنيه في العالم ....فمن له الحق في الحياة والمحافظة عليها بكرامة له حق العبادة وحرية المعتقد . فهي عملت لرفع شأن كل إنسان بتنمية مواهبه العقلية والعاطفية والروحية والانسانية . فلذالك يجب قيام أنظمة سياسية تحافظ محافظة أوفر على حقوق الأشخاص والجماعات ضمن الحياة العامة . ولأجل قيام حياة سياسية انسانية حقة ، يجب أن تبنى على معنى العدل في ضمير الانسان وانماء معنى التفاني والتضحية في سبيل المصلحة العامة وتفهم غاية المصلحة العامة وحسن ممارستها وحدود عملها .

انه لمن العبث ان يبنى سلام ان لم يكن على احترام سائر الناس والشعوب وكرامتهم وممارسة الاخوة دون انقطاع ،لأن السلام يجب ان ينبع من الثقة المتبادلة بين لشعوب بدلاً من ان يفرض

على الدول من جراء التهويل بالاسلحة (قوانين كنسية /ك.ع.82) فالسلام لا يبنى على القوة ولا على تكديس الأسلحة ولا على التسلّط لكن السلام الحقيقي يبنى على العدل والمساواة ، وحفظ حقوق الانسان كاملة . هو عمل بنائي مستمر متواصل في تنشئة أجيال محبة للسلام والعدل . مع نبذ روح العداء والاحتقار والحذر والعداوات العرقية والأغراض العقائدية .الكنيسة تدعو ابناءها باستمرار الى ن يتحلوا بروح السلام وان يعملوا أعمال المحبة والسلام .... كل المجامع والسينودس تركّز على الدعوة للتعاون بين الاديان من اجل السلام [46] .

اما لدى الأسلام ، وعلى الرغم من ربطه بالعنف والدعوة اليه بواسطة الجهاد المقدس وغير ذلك ، فإن التفسيرات والشروحات تنفي أي دعوة من قبل الأسلام للعنف ؛ وبالعكس فان الدعوة أتت لأرساء السلام بالقول [47]:

فجاء الاسلام ودعا الى نبذ العنف والتطرف والاحتكام الى القرآن الكريم قال تعالى :﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ الأنفال: 61.

وحسب الاسلام ان السلام هدف صعب لايناله الضعفاء لأنهم لا يستطيعون ان يصنعوه ، وحتى يصنعه الأقوياء فانهم يصنعونه لأنفسهم ولا يهبونه لأحد ، انه سلام الأقوياء. وان السلام القائم على العدل بما يعني ان كل سلام لايقوم على العدل فانه لا يصبح سلاماً منقوصاً فحسب بل تسقط عنه صفة السلام بالكامل.

اشتق مفهوم الاسلام وصيغه لغوياً من السلام بحيث تبدو الكلمة ومفهومها تلخيصاً للهدف الكبير الشامل الذي يسعى لتحقيقه في حياة البشر وهو هدف السلام الشامل ... عبارة "السلام عليكم " بين معتنقيه . وتحذير لمعتنقيه من عدم قبول السلام من خصومهم اذا بادروا اليه (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمناً).

ان مفهوم الاسلام للسلام مشتق من العقيدة التي يدعو اليها الاسلام ، ومرتبط بها حيث تنفي هذه العقيدة عبودية البشر بعضهم للبعض الآخر، وتجعلها خالصة لله وحده وهنا فإن السلام شرط لتحقيق هذه الحرية الشاملة التي لا يحدها شيء سوى الارتباط بالمطلق -أي الله. ويوضح الفقه الاسلامي ، انه خلافاً لما يظن البعض من المسلمين وغير المسلمين ، فإن الاسلام يرفض مبدأ العنف في تغيير واقع البشر ، وان الشبهة مصدرها :

1 – وقائع التاريخ الاسلامي نفسه التي كانت في بعض جوانبها تعبيراً سلمياً عن مبادئ الاسلام وتشريعاته ولكنها في جوانب اخرى منها لم تكن تمثل هذه المبادئ والتشريعات وبدلاً من ادانة هذا الخروج وتبرئة الاسلام منه جرى تحميل الاسلام وعقيدته وزر هذه الوقائع .

2 – تاريخ المسلمين كتاريخ المسيحيين او أية أمة اخرى لايكون بالضرورة تعبيراً دائماً عن عقيدتها .... أو أنّه مظهر من مظاهر الخروج على العقيدة ومستلزماتها .

ويتابع المصدر بأن الجهاد – كما شرّعه الاسلام – لا يكون الاّ في حالة الدفاع عن النفس وفي حالة استنفاد كل وسائل اللاعنف .... ومع ذلك فان الاسلام يعتبر الجهاد بصورته العسكرية جهاداً ثانوياً واستثنائياً ويعتبر جهاد النفس هو القاعدة ويسميه الجهاد الأكبر . وفي اطار هذه الاستراتيجية التي تقوم عليها الاديان فان الحرب تصبح خيار الاضطرار وإستثناء لا يصح اللجوء اليه الا من القواعد نفسها التي يمليها واجب جهاد النفس .... المؤسف ان هناك حروباً تفرض على المؤمنين فرضاً . اننا لكي نلغي القوة بوصفها معياراً لمصالح الأمم والشعوب فلا بد لنا من ان نمتلكها أولاً ..لابد للقيم الروحية ان تمتلك القوة اللازمة .... ان القيم الروحية تراهن على قوة السلام بديلاً من السلام بالقوة .

في مجمل الأحوال علينا ان نأخذ بعين الاعتبار ان العنف ، والسلام ، مصدرهما العقل البشري الخاضع لتنشئة وثقافة وبيئة ملائمة لاتخاذ أي خيار . فإذا انطلقنا من هذا الاعتبار واستنتاداً الى كريتش وكراتشفيلد Krech and Crutchfield اللذان يريان ان "الانسان يتصرف وفق ما يعتقده " واذا أردنا ان نعرف كيف ؟ علينا ان نتطلع نحو نظريات جديدة ، يرتكز معظمهاعلى فهم أشكال تنظيم الفكر وكيفية عمله على ضبط الوضعيات الى الادراك الذي ينسج صور العالم والآخرين في أذهاننا . بهذا المعنى يشرّع أمامنا بابين واسعين . يتيح الاول فهم العدوان كسلوك ناتج عن إدراك الوضعية على نحو يثير انفعالات الشخص فيهدد تكيفه ووجوده . بينما ينفتح الباب الثاني واسعاً أمام التلاعب بالقبول وقدرته على تأجيج الصراعات القومية والعرقية والاتنية. هناك نظريات عديدة عن العدوانية والانفعالات والتلاعب بالعقول والصراعات وأسبابها منها ، لتاجفيل Tajfel والهوية الاجتماعية ، براون Brown عن الأنثوية والعدوان ، موسوكوفيسي Mosocovisis حول سيكولوجية الأقليات الناشطة وغيرها من نظريات اخرى ، ومنها نظرية الإسناد (Attribution theory) ومعالجة الاعلام (Social information processing) كلها شكلت ميادين بحث طغت على الدراسات النفسية ، خاصة في الولايات المتحدة منذ سبعينيات القرن العشرين[48] .

إن النظرييات تتراوح بين الاعتقاد بقدرة الانسان على ان يصنع المجتمع الذي يرتئيه ، كنظرية أفلاطون الذي بنى جمهوريته على أساس هذا الاعتقاد ، وبين النظريات التي تؤمن باستحالة صناعة المستقبل على نحو كامل . ومن عوامل هذه الاستحالة وجود الانسان في دائرة الزمن ، وتأثيره في تكوين المستقبل لا بل هو الفاعل فيه كما كان فاعلاً في صناعة التاريخ . فالتاريخ والمستقبل محورهما الانسان الفاعل والكلمة التي هي الأساس ، حيث تصدر عادة عن فرد وليس عن جماعة إلاّ انها لكي تصبح فعلاً وتجسّده واقعاً يجب ان تقبل بها الجماعة وتعمل بموجبها .

ب – المنطلق االواقعي لاستراتيجية السلام

من منطلق القول إن المبادئ النظرية هي القاعدة الأساسية بالنسبة لأي تطور أو إصلاح ، إنّ استراتيجية السلام تستمد قوتها من خبرات الماضي ، إستناداً الى الآراء والنظريات والأفكار والقوانين والأنظمة المتطورة ، لتُعينها على التخطيط الملائم لأي تنفيذ عملي وواقعي لتحقيق السلام ، الهدف الأسمى للاستراتيجية ، وغاية المجتمع البشري.

ان البدء بالتخطيط والتنفيذ المبني على القواعد النظرية التي تترجَم عملياَ بواسطة الأفعال ، بدءاً بالثقافة والتربية والتنشئة على السلام ، لأنها من الأولويات ، كونها تشكل المحرك الأساسي والبديهي لأي مشروع بنائي ، معنوياً ومادياً ، ذلك ينعكس على المجتمع والدولة بواسطة سياسات مبنية على السلام ، تؤسس لدول بعيدة عن النزاعات والحروب ، فتُسهم بوجود نظام دولي يشكل ضمانة للسلام العالمي بأبعد مراميه . وهذا هو هدف استراتيجية السلام إن تحقق .

ينبغي البدء بتوجيه وتثقيف الأفراد نحو السلام . فالتربية تُنتج مساعي داخلية في كل مجتمع ودولة ، فينعكس على العالم أجمع ؛ مع الأخذ في الاعتبار أن التربية ليست حكراً على المدرسة والمعهد والجامعة ، بل مشاركة هذه المؤسسات مع البيت والمجتمع والنظام والقوانين وغيرها .

من منطلق عالمية السلام وشموليتة والسعي اليه (بواسطة التخطيط لاستراتيجية السلام)، ما يوجب الأخذ في الاعتبار "...ثقافة السلام في صلب اهتمامات الأمم المتحدة وفي حاجات الداخل الوطني أولاً، من الأفضل البدء بتربية الفرد وإكسابه مفاهيم السلام ، وقيمه ، ومهاراته في مرحلة مبكرة من خلال الأسرة والروضة ؛ فالجهود لكسر حلقة العنف وتعليم السلام بحسب ليفن Diane E. Leven يجب ان تبدأ من الطفولة المبكرة ، ثم الأنطلاق بعد ذلك لتشمل كل مراحل نمو الفرد"[49] . فالتربية على السلام ضرورة لا مجرد خَيار ، لأن تعليم الأطفال حلّ النزاعات سلمياً ، هو الجوهر الأساسي الذي يجعلهم عندما يكبرون ، مساهمين حقيقيين في بناءالسلام ؛ لأنهم يكونون قد تربوا على احترام الآخرين ، ويستمعون اليهم ، ويتعاونون ويتفاوضون معهم للوصول الى حلول ملائمة، وغير عنفية لنزاعاتهم لأنهم مستعدون للمسامحة [50]. إن بناء السلام ليس مجرد وقف العنف وقمعه مؤقتاً ، وابقاء ناره تحت الرماد ، وترك الآلام والأحقاد مخفية تنتظر فرصة لظهورها ، ولا مجرد التوصل الى حلول آنية للنزاعات ، أو وقف هش للعدوان عبر المفاوضات والتوسط والتحكيم ؛ من دون توفير بيئة عدل ومساواة تحول دون ظهوره ثانية[51] . فالظلم والتحيّز والتمييز هو الثالوت المدمر ، اذا ظهر في المجتمع ، يبرز العنف فيه ، ثم لا يلبث ان ينتقل الى المؤسسات التعليمية[52] .

من هنا ظهرت في مختلف بلدان العالم في الثمانينات من القرن العشرين دعوة لتبني التربية على السلام كمدخل لإحداث إصلاح تربوي . فمثلاً قدمت نصف جامعات أميركا وكلياتها مواد حول التربية على السلام ، وقامت ولاية أوريغون Oregon بإصدار قانون يجعل التربية على السلام إلزامية في مدارسها . وجاءت تلك الدعوة جزئياً كإستجابة لمشكلة العنف في العالم ؛ لأنه – كما رأى أنصارها – لا يمكن ان يكون هناك عالم مسالم ما لم تتوافر غرف صفّية مدرسية وجامعية يعمّها السلام[53] .

يُستنتج من ذلك ، ان استراتيجية السلام بحاجة الى رسم إطار عام لها ، ثم وضع شروط تهيء لنجاحها ، وبعدها يأتي التخطيط اوالتكتيك العملي بتأنٍ ودقة تامّين ، وأخيراً تهيئة المناخ الملائم لخوض غمار هذه الاستراتيجية.

1 – الاطار العام :

إن بناء السلام في المجتمع من خلال التربية يقتضي ، كما ذكر جونسون وجونسون Johnson & Johnson توافر خمسة عناصر تشكل الاطار العام للاستراتيجية السلمية بنظرنا وهي[54] :

- إقامة تعليم عام إلزامي يلتحق به كل الأطفال دون استثناء .
- بناء إحساس بالمشاركة ووحدة المصير بين الطلاب أساسه الاشتراك بالأهداف والمصالح والهوية عن طريق التعليم التعاوني وليس التعلّم التنافسي الفردي في المدارس والجامعات.
- تعليم الطلاب كيفية إتخاذ القرارات الصعبة واكتساب مهارات حل النزاعات بطريقة بناءة.
- زرع القيم التي تسعى الى تحقيق الخير الدائم في نفوس الطلاب .

2 - الشروط الواقعية والعملية :

بالاضافة الى ذلك هناك شروط لابد من توفرها للمساعدة على تربية المواطن ، للتحضير لاستراتيجية السلام ومنها[55] :

- البدء ببناء العقل العلمي ، وتتطلب هذه المرحلة الخروج من دائرة التقليد ، مع العمل على تحرير العقل من مرض الاستظهار والحفظ والتلقين وبناء الاسسس المنهجية للتفكير الحر الذي يمكّن الطالب من امتلاك أصيل للقدرات الذهنية والعقلية التي يقتضيها منطق الحياة والتفكير في عصر العولمة الجديد .

- بناء العقل على مبدأ الاختلاف ، لأن الاختلاف هو مبدأ الوجود ، والتطابق هو استثناء مستحيل . فيجب ان تتحقق في النهاية منطلقات قبول الآخر على مبدأ الاختلاف ، وقبول الافكار المضادة دون تعصّب أو إنكفاء .
- بناء العقل على مبدأ التغيير الدائم ،إنطلاقاً من مبدأ لا ثبات في هذا الكون ، فالقانون الثابت الوحيد هو قانون التغيير عينه . فحقائق الأمس هي أباطيل اليوم ، وحقائق اليوم ستكون ضلالات الغد ، التغيير مبدأ كوني تقره الشرائع والنواميس والقوانين السماوية.
- اننا نعيش مركباً من التناقضات والازمات والمفاجآت الذي يمثل تفاعل وتكامل مجموعة كبيرة من المشكلات التي تحيط بنا وتحيق بوجودنا .

3 – التخطيط والتكتيك :

بالاضافة الى هذه الشروط هناك تخطيط ينبغي العمل بموجبه لبلوغ الاستراتيجية هدفها ، إذ يوجد ثلاثة عوامل أساسية في التنشئة الاجتماعية ، هي إكتساب الثقافة ، دمج الثقافة في الشخصية والتكيّف مع الوسط الاجتماعي . هذه المحددات لاتنفصل عن بعضها البعض ، فاكتساب الثقافة يعني تعلّم أنماط السلوك ، وأشكال الشعور وتهذيب الطباع . في هذا المجال يظهر دور الأهل والمدرسة والجامعة والمجتمع في صنع قيم وسلوك اجتماعية تشكل المُثل العُليا التي يتماهى بها الافراد ويدمجونها في شخصيتهم ، فيجب التخطيط وفق تكتيك دقيق لتحقيق هذه المثل العليا في مجتمعنا للوصول الى الأهداف المحددة[56].

4 – تهيئة المناخ الملائم :

لابد من تهيئة المناخ الملائم للتنفيذ ، والوصول بنجاح الى الهدف الأخير للاستراتيجية ، وذلك يتطلّب[57]:

- إيجاد المؤسسات الاجتماعية الشبابية التي تصقُل انتماء الشباب ، ما يساعدهم على إبراز المميزات الاساسية لتنمية شخصيتهم .
- توفير المناخ الروحي للمؤسسات الاجتماعية لتعكس فضائل العدالة والمساواة والاستقامة والعمل والتضامن والحب والمعرفة .
- نيل الانسان من وسطه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ايديولوجية تتلاءم مع طموحاته وتوجّه نموه وتترابط مع قيمه الأخلاقية .
- اعتراف بالمساواة رغم الفوارق والمميزات للتفاعل بين جميع الناس وبين الرجل والمرأة من قبل المحيط ومن الضروري تحديد الأسس والمبادئ .

- تنشئة وطنية شاملة على البدء باستراتيجية السلام ، مع التنشئة الدائمة للعاملين في المجال التربوي والاعلامي وإعادة تأهيلهم دورياً في الداخل والخارج ، لتقوية السلام عبر التربية والاعلام.

هذة النقاط الاستراتيجية هي أساسية لجعل الانسان مندفعاً نحو حريته وحرية الآخرين ، فيتخذ القرار الحر ببناء وتنفيذ الاستراتيجية المرسومة .

بما أن التربية والتنشئة على ثقافة السلام هما العاملان الأساسيان في مسلكية استراتيجية السلام وتمهيداً لها ، فان دور الأنظمة والقوانين داخل كل دولة وعلى الصعيد العالمي بواسطة المنظمات الدولية وغيرها ، يقتضي إعداد وتنفيذ ومتابعة استراتيجية أمنية شاملة وتفصيلية، بجهود إقليمية ودولية شاملة لا تستثني أحداً . وهنا تمثل الغايات الاستراتيجية العنصر المحوري في عمليات التخطيط والإدارة الاستراتيجية ، حيث تحدد الإطار العام للجمهور والأنشطة التي تقوم بها الحكومات ، وتساعد في تحويل الرؤية الاستراتيجية والرسالة التنظيمية إلى مستويات مرغوبة للتنفيذ والأداء والمتابعة . ومن ناحية أخرى فإن الغايات والأهداف تُسهم في توجيه القدرات الاستراتيجية وتحديد أولوياتها وأهميتها النسبية .

بعد مراحل التحضير والتنفيذ ، تأتي مرحلة المتابعة مع إعادة تقييم الاستراتيجيات في ضوء المعطيات اللاحقة لتحقيق الأستقرار والسلام المعزز بمشاركة المنظمات العالمية والاقليمية ، والحكومية وغير الحكومية منها ، بالتعاون مع الادارات المحلية في كل دولة لضمان التنفيذ والمتابعة ؛ خاصة لناحية حقوق الانسان كما نص عليها الاعلان العالمي ، وذلك عن طريق:

- تحديد وتطبيق تدابير وقائية لمكافحة الخلل الأمني وتحقيق الاستقرار في المكان والزمان.
- العمل على التوصل إلى تدابير أمنية للدول كافةً ، مع وقف تدفق السلاح وتقييد حركة المجموعات المسلحة في كل مكان .
- شروع الحكومات في عملية متزامنة لنزع السلاح من كل المجموعات المسلحة في سياق استراتيجيتها الشاملة لبناء السلام.
- حماية المدنيين مع ايلاء اهتمام خاص بالنازحين على ان يتم ذلك بالشراكة والتعاون مع العمليات الحالية التي تضطلع بها الأمم المتحدة وقوات حفظ السلام الدولية .
- المصالحات على صعيد المجتمع الدولي، لدعم السلام من جهة، ونبذ الخطاب المتطرف

.

- دعم الاتصالات التشاركية بواسطة التكنولوجيا الحديثة والتداول الحر للمعلومات والمعارف لتشجيع احترام حقوق الإنسان ومراعاة مصالح الأجيال القادمة .

هذه المراحل بالشكل والمضمون ، هي مهمة لتحقيق استراتيجية السلام ، وتراعي القول "إن وحدة الشكل سلام الأموات وموكب جنازة الفكر؛ وتناسق التلاقي التعددي سلام الأحياء في كنف إنسانية متجددة ومتصالحة أبدًا مع نفسها في الغيرية المتآلفة"[58].

فالقضاء على الحروب والارهاب في كل مكان وفق تكتيك محدد وتخطيط دقيق، مع شروط ملائمة لقبول النفوس بشروط السلام الجديدة لضمان النجاح الذي يعود بالخير على البشرية جمعاء ، كبيرها وصغيرها ، غنيها ووفقيرها ، شيبها وشبابها ، حاكمها ومحكومها الخ...
حينذاك يتحقق الهدف الرئيسي للاستراتيجية الجديدة ، ومعه تتحقق تسوية سلمية شاملة تعيد للحياة ما فقدته من معنى وأصالة ، لدفع عجلة التنمية الشاملة ، مع إستعادة الأمن لجميع السكان في كل دولة .

الخاتمة

على الرغم من الطابع المأسوي والخلل الذي يسود عالم اليوم ، ومن منطلق القول ،"الحرب آفة الدول ومقبرة العدالة. في قرقعة السلاح تصمت الشرائع " (إرَسموس 1517)، هناك أمل بسعادة البشر الذين إصطبغ تاريخهم بالحروب والدمار والويلات المتكررة منذ البداية(بين هابيل وأخيه قابين) كما تقول الكتب المقدسة ؛ ولكن هذه الكتب المقدّسة ذاتها تعطي الأمل بمستقبل أفضل لهذه البشرية المتألمة . فإذا تم الإعتماد على فضائلها؛ وليس فضائل البشر المنقوصة ، مع الاسترشاد بالنظريات والأفكار والخِبر التي قدّمها الفلاسفة والعلماء والمفكرون والاصلاحيون في كل مكان وزمان ، تُسهم الى حدٍ كبير بتجريد كلمة إستراتيجية من مدلولاتها الحربية والعسكرية والقتالية والارهابية ... الى استراتيجية الحب والرحمة والتعاون والتفاني وكل الفضائل الحميدة إنسانياً واجتماعياً ودولياً وعالمياً ، لأن المجتمع العالمي بالنهاية عائلة واحدة ، فحمايته والمحافظة عليه لا تتمان إلاّ بإعتماد استراتيجية السلام ، القائمة على مبادئ وشروط تؤهلها للنجاح والاستمرار .

فالانسان يطمح الى الأمن والسعادة والأحداث المُفرحة ، لندعه على الأقل يحلم بما يريد ولا ننغص عليه حتى أحلامة بالغد الأفضل ، بإشاعة سواد الواقع المتروك لذمم الارهاب المنظور وغير المرئي ،الشرعي وغير المعترف به . فالارهاب واحد وإن تعددت أوجهه ،لأنه موجود في الفكر والقول والعمل ؛ وليس بالسلاح فحسب . فالعقول التي تدير الارهاب والحروب هي ذاتها تصنع

السلام ؛ إن توفرت لها الظروف ، كالتي ذُكِرت في البحث ومنها ما معناه ،نحن لسنا بحاجة الى فلاسفة طوباويين فحسب بل الى فلاسفة ومفكرين واصلاحيين ومخططين ، تتمحور آراؤهم حول عامل التواصل الزمني temporal المحتوي على مادة تاريخية واقعية فضلاً عن رؤيا مستقبلية مستنبطة من دراسة جوهر التاريخ وطبيعة وجهته. وهذه الحاجة يوفرها الذين تعاطوا فلسفة التاريخ أمثال القديس أوغسطينوس وابن خلدون وجورج هيكل وكارل ماركس وغيرهم . فإذا بوشر باستراتيجية السلام على هذا المنوال في النفوس ، من السهل بلوغها النصوص التي تقوننها وتجعلها ملزِمة في كل آن وزمان ومكان . فتصل البشرية الى مبتغاها دون خسارة بالأرواح ، وتبني ثقافة أنسنة الإنسان ، والبدء بالحرب على الحرب ،وسُلمية السلام ، سلام الأحياء وليس سلام الجماد ، ونبذ العنف العسكري أو النفسي ، أو الديني ؛ الذي يحارب السلام تحت ستار توطيد الأمن والسلام .

...هذا هو السلام بمعناه الحقيقي الذي "يُسلمِن" كل شيء ؛ وحتى الحرب، يبدّل معنى الاستراتيجيا الرائج ، وينشر سلام الاستراتيجيا ، حينها يتحقق القول واقعاً ، إن إستراتيجية السلام تبشّر بسلام الاستراتيجا . فتصبح ، إستراتيجية السلام سلام الاستراتيجيا .

هل السلام والأمان آتٍ ، في أي زمن؟ وننتظر نقطة البداية .

الهوامش

[1] – القاموس السياسي ، احمد عطية الله ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، (ص54 -55) .

[2] - يراجع Claude GAIER: "جيوش ومعارك في عالم القرون الوسطى"، صادر في بروكسل،بلجيكا، جامعة De Boeck، 1995،الصفحة 331.
والكاتب الإنكليزي John Smythe في كتابه "خطابات عسكرية" عام 1590، و Roger Ascham و Matthew Sutcliffe في كتاب " The Practice, Proceedings and Laws of Arms" عام 1593.
بالاستناد الى المفكرين:
.Roger William (A Briefe Discourse of Warre, 1590) -
Humphrey Barwick (A Briefe Discours, concerning the force and Effect of all manual Weapons of Fire, 1594). -
Thomas Smith (The Art of Gunnery, 1600).-
Robert Barret (The Theorike and Practike of Moderne Warres, 1598).-

[3] – http://www.siironline.org/alabwab/derasat(01)/Untitled1.psd.jpg

[4] - Dumont ,Essai sur l'individualisme: Une perspective anthropologique sur l'idéologie moderne ,Paris: Seuil, 1983, p. 186 .

[5] - Le général Jomini by Charles-Augustin Sainte-Beuve Published 1869 Book digitized by Google from the library of Oxford University and uploaded to the Internet Archive by user tpb. Publisher Michel Lévy Frères,Year Book1869 Pages256 from the collections of University Oxford Collection europeanlibraries.

[6] - Clausewitz, Carl von, 1780-1831; Howard, Michael Eliot, 1922-; Paret, Peter texts Book digitized by Google and uploaded to the Internet Archive by user tpb. Topics: Military art and science, War May 4, 2009 .

[7] - The nation in arms**,** by Goltz, Colmar, Freiherr von der, 1843-1916 **;** Ashworth, Philip A. (Philip Arthur), 1853-1921, tr Published 1887 Topics Military art and science.

[8] – http://faculty.ksu.edu.sa/28723/DocLib/ تعريف الاستراتيجية.

[9] - الدكتور حسن عمر توقة ، مقالة بعنوان : الأستراتيجية مفهومها ومدلولانها ، http://www.allofjo.net/index.php?page=article&id=37707

[10] - ترجمة و معنى السلام في قاموس المعاني. قاموس عربي عربي.

[11] – مجلة البحوث الإسلامية ، العدد الثامن والتسعون - الإصدار من ذي القعدة إلى صفر 1434 هـ، الصفحة رقم: 314 .

[12] - https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85

[13] - المهندس جوزف يونس ، مقالة بعنوان : التعايش والسلام ودور الانتشار اللبناني في تنميته ، الهيئة اللبنانية للسلام ، سلام واستشراف ، لبنان 2002 ، المطبعة البوليسية ، جونية ، لبنان 1993 (ص 428) .

[14] – خليل خيرالله ، مقالة تحت عنوان : ثقافة السلام بين الاهتمام الدولي وحاجة الداخل: دور القانون والتربية في ترسيخها ، صحيفة البناء،العدد:2121 3*تشرين الأول 2015 ، دراسات .*

[15] – R solutions des Nations Unies A/RES/52/13:Culture de la paix et A/53/243:Déclaration et Programme d action sur une culture de la paix, approuve en octobre 1999.

[16] – القاموس السياسي ، المرجع السابق ،(ص121) .

[17] – David W. Johnson and Roger T. Johnoson ," Essential Components of Peace Education " Theory Into Practice , vol.44,No.4(2005) .

[18] – https://ar.wikipedia.org/wiki

[19] – Jing Lin , Edward J. Brantmieir and Christa Bruhn, eds. ,Transforming Education for Peace (Charlotte North Carolina :Information Age Publishing Inc.,2008) .

[20] – اميل خوري ، مقال تحت عنوان : مطلوب الاختيار بين "استراتيجية الحرب" و"استراتيجية السلام " صحيفة النهار - لبنان 8 حزيران 2010.

[21] - ملخص ما توصل اليه كتاب " صوت الإستراتيجية"، صادر بالفرنسية ،تأليف Lucien Poirier.

[22] – خليل خيرالله ، مقالة تحت عنوان : ثقافة السلام بين الاهتمام الدولي وحاجة الداخل ، المرجع ذاته .

[23] – The Amphictyonic League (Amphictyony) was a form of Greek Hellenic religious organization that was formed to support specific temple or sacred plac.

[24] – الموسوعة العربية العالمية - النسخة الإعلامية- 2009

[25] – Mackay، Christopher S. (2004). Ancient Rome: A Military and Political History. Cambridge, U.K.: Cambridge University Press. ISBN 0-521-80918-5.

[26] - mawsoah.net/gae_portal/maogen.asp?main2&article 24 /5/2012

[27] – الأب جورج حبيقة،مقالة بعنوان : إيديولوجيا الحرب وفلسفة السلام، المرجع ذاته.

[28] – الأب جورج حبيقة،مقالة بعنوان : إيديولوجيا الحرب وفلسفة السلام، المرجع ذاته.

[29] - Shabtai Rosenne, "The Hague Peace Conferences of 1899 and 1907 and International Arbitration: Reports and Documents", T.M.C. Asser Press (2001), page xxi.

[30] – "All Nobel Peace Prize Laureates". Nobel Foundation , 29/11/2008.

[31] – Covenant of the League of Nations.

[32] – إستناداً الى شرعة حقوق الأنسان عام 1948 : الأمم المتحدة ، حقوق الانسان ، مكتب المفوض السامي ، http://www.ohchr.org/

[33] – R solutions des Nations Unies A/Res.33/73:Culture de la paix et A/53/243:D claration et Programme d action sur une culture de la paix, approuv e en octobre 1999 .

[34] – Déclaration sur les droits des peuples a la paix. www.ohchr.org/fr

[35] – www.unesco.org/new/ar/ /events/.../international-peace-day

[36] – unesco ، المرجع ذاته

[37] – www3.unesco.org/iycp

[38] – www.institutidrp.org 16 oct.2014

[39] – الأب جورج حبيقة،مقالة بعنوان : إيديولوجيا الحرب وفلسفة السلام ، المرجع ذاته .

[40] – د. مرغيريت الحلو ، النظام الدولي الجديد : حقيقة أم وهم ،الهيئة اللبنانية للسلام ، لبنان والمنطقة ، آفاق التنمية والسلام في العقد الآتي 1993 ، المطبعة البوليسية ، جونية ، لبنان ، 1994 ، (ص 26) .

[41] – هناك مثالاً عن أسباب فشل السلام العالمي في النظام الدولي الجديد كما ورد لدى : د. مرغريت الحلو ، المرجع ذاته، (ص27):

- كون رأس الهرم الوحدة السياسية الأقوى والأكثر نفوذاً .
- رأس الهرم المرجع الأساسي في كل التصرفات .
- سيطرة رأس الهرم على باقي الوحدات سيطرة كاملة وشاملة .
- عدم انشاء علاقات بين الوحدات المكونة للنظام الاّ بواسطة رأس الهرم .
- وبسبب ما تشكله التحالفات بين الوحدات من خطر على مصالح رأس الهرم وتهديد لمواقعه ، يفترض من حيث المبدأ أن تكون التحالفات بين الوحدات في نظام كهذا شبه معدومة .

[42] - د. يزيد عيسى الشورطي ، حل النزاعات في التربية العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الاولى ، بيروت، لبنان (ص144).

[43] – Salem Aweis , " Educating for peace : vision and reality" , Palestine – Israel Journal of Politics, Economics and Culture (31August 2001).

[44] – الأب جورج حبيقة، مقالة بعنوان : إيديولوجيا الحرب وفلسفة السلام ، المرجع ذاته.

[45] – عطاالله ، دعد أبو ملهب ، الثنائية الدولية والعالم المعاصر دراسة تاريخية جيو- سياسية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1991 (ص 190-195).

[46] – المطران مارون صادر: دور الميسحية في بناء السلام الهيئة اللبنانية للسلام ، لبنان والمنطقة ، المرجع ذاته (ص163-170).

[47] – العلامة الشيخ محمد حسن الأمين : الاسلام والسلام ، الهيئة اللبنانية للسلام ، لبنان والمنطقة ، المرجع ذاته (ص 172 -177).

[48] – بالاستناد الى :

– Tajfel , 1982 , Social psychology of intergroup relations, annual review of psychology vo.33 p.1-39.

- Brown , R 1986 ,Social psychology , sec.ed.Free press . p.533-634 "The ethnic conflict"

- Minorities … Abelson 1953 , A study of minority group authoritarianism , Jnal of abn.and soc. Psucho.vol.43 , p. 477-485.

[49] - Diane E. Levin Teaching Young Children in Violent Times: Buiding of peaceable Classroom (Cambrige , MA : Education for Social responsibility, 200).

[50] - Bayer and Staley ,"Teaching peace in a violent word" .

[51] - Johnson and Johnson " Essential Components of peace Education".

[52] - Rhonda Baynes Jefferies ,"Examining Barriers Effective Peace Education Reforms", Contemporary Education, vol., No. 4 (200).

[53] - Harris , "Peace Education in Urban School in the United states".

[54] - Johnson and Johnson , Ibid.

[55] – هذه النقاط الاربعة هي ملخص ما توصل اليه المرجع التالي: مجموعة من الباحثين ، التربية والتنوير قي تنمية المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، لبنان 2005 (ص82-85).

[56] – د. امتثال زين الدين الطفيلي ،التنشئة النفسية ، الهيئة اللبنانية للسلام ، لبنان والمنطقة ، المرجع ذاته (ص 405).

[57] – هذه النقاط الخمس ملخص ما توصل اليه المرجع : د. امتثال زين الدين الطفيلي ، التنشئة النفسية للشبيبة ، المرجع اته ، (ص 406) .

[58] – الأب جورج حبيقة،مقالة بعنوان : إيديولوجيا الحرب وفلسفة السلام ، المرجع ذاته.